

عبد الجليل وهبي الظرف والطفرة

عاصم الأمين^(١)

عندما حملت القلم لأكتب عن عبد الجليل وهبي، حرثُ في أمري وأرتجّ علي، من أين أبدأ؟ وإلى أين أنتهي؟ وأيقنت أنني مهما بلغت قدرتي لن أستطيع أن أَلَمَّ بمجموعة من الرجال، اختصرها الله برجل واحد!

هل أكتب عن الشاعر الملهم الذي لم يرث هذه الموهبة عن أجداده، بل ابتدعها ابتداءً من صلب شخصيته، وحثق بها إلى الأعالي؟

أم أكتب عن التاجر المُهاجر المُغامر؟

هل أكتب عن العصامي الذي لم يرث مالا ولا جاهاً، فتدفق عليه المال وانساق الجاه إليه انسياقاً؟

أم أكتب عن النسيب الملتصق باللحم والدم؟

أم عن البعيد حتى التلاشي؟

(١) أستاذ لبناني، وصهر شاعرنا الأستاذ وهبي.

هل أكتب عن مروءته وكرمه الذي بلغ حدّ تبذير المال على كل المحيطين به، ولما احتاج إليه لم يجده عند أحدٍ حتى عند الأقربين؟

دعوني أنسى كل ذلك لأعود إلى الطرافة والظرف، إلى الزمن الغابر في أواسط الستينات، إلى الوقت الذي عقد القدر فيه أواصر الحُبّ بيني وبين ابنته البكر، أم البنين، وداد (رحمها الله)، وكنا في مطلع الشباب، ولم يكن لنا آنذاك قدرة على تأسيس بيت وأسرة، فوقف معظم الأهل وهو منهم في وجه تحقيق الحلم الذي كان يلح علينا، حتى أصبحنا نعاني الألم والحسرة، إلى أن انبرى رجلان عظيمان لا أنساها، هما: شقيقي الأكبر هاني رحمهما الله وعبد الجليل نفسه، فأمدنا الأول بالمال، وأمدنا الثاني بالبركة، فتحقق الحلم بفضلهما، وقد يقول قائل: وأين الطرافة في ذلك؟

إن الطرافة تكمن في تبرير عبد الجليل لموافقته المفاجئة على جمع الشمل، حيث قال لنا: أثبت لي أنكما تحبان بعضكما حُبّاً صادقاً، «فالحب والحبل وركوب الجمل» ثلاثة أشياء لا يمكن إخفاؤها، فسيرا على بركة الله.

وكان أن شككتني «رحمها الله» مرّة إليه بعد أن دبّ بيننا خلاف مما يقع أحياناً بين المتزوجين، فاستدعاني وسألني عن أسباب الخلاف، فرحت بدوري أشكوها إليه، واسترسلت في تعداد أخطائها وركزت في دفاعي عن نفسي على صغر عقل النساء وقلة درايتهنّ وغيرتهنّ الشديدة. . .

ونظرت إليه لأرى وقع كلامي عليه، فإذا به يبتسم ويقول: «طلقها يا ابني فوراً، لقد ثبت لي الآن بما لا يقبل الشك أني ظلمتك بتزويجك ابنتي، طلقها وسأزوّجك ابني فؤاد!»، وقبل أن يأخذني العجب من هذا الكلام الغريب، أضاف قائلاً: إنك يا عزيزي تريد امرأةً بعقل رجل، وهذا من رابع المستحيالات، لذلك فالأفضل لك أن تتزوج رجلاً!

وكان عندما يُلام على ملاحقته للنساء وتعدد زيجاته يقلب الآية ويقول: «إنهنّ يلاحقنني بالمئات، فهل بعد ذلك يعتبر الزواج من ثلاث أو أربع كثيراً؟».

هذه لمحة من لمحات تلك الشخصية الطريفة، وهذا هو عبد الجليل وهيبي في مسيرة حياته الصاخبة، فإن كنت معه أو عليه مظلوماً أو ظالماً إلا أنك لا تستطيع أن تنسى أنه كان مالىء الدنيا وشاغل الناس، ومن ذلك إن الأغنية اللبنانية لم تكن على المستوى الذي وصلت إليه اليوم من الإنحدار عندما كان مراقباً للنصوص الشعرية في الإذاعة اللبنانية.

ومن ذلك أيضاً: أنه اشترى مطعماً قرب الإذاعة اللبنانية، حوَّله إلى صالون أدبي وفنّي؛ كان من روّاده في الستينات كبار روّاد الشعر والأدب والفنّ، منهم: أمين نخله، وعبد المطلب الأمين، ونزار الحُرّ، وغيرهم وغيرهم، ومهما يكن من أمرك معه، فإنك لا تستطيع إلا أن تحبه وتتمنى له العمر المديد.